

الصُّبْحُ الْمُتَنَفِّسُ
أبحاثٌ في تراث الإباضية

محبوب
الإصدار الأول

الإباضية في كتاب الفهرست للنديم



بقلم
سُلْطَانُ بْنُ مُبَارَكٍ بْنِ حَمْدِ الشَّيْبَانِيِّ

سلسلة: الصبح المتنفس؛ أبحاث في تراث الإباضية
الإباضية في كتاب (الفهرست) للنديم

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الرقمية الأولى
المحرم 1443هـ / أغسطس (آب) 2021م

محبوب

محبوب للنشر الرقمي
مسقط / سلطنة عُمان
البريد الإلكتروني:
mahboub.pd@gmail.com

الإباضية
في كتاب الفهرست
للنديم

فهرس المحتويات

5	• تمهيد
7	⊙ مقدمات عن كتاب الفهرست وموضوعه
7	• عِلْم «الفهرسة الوصفية»
9	• تطور علم «الفهرسة الوصفية» وأهم المصنفات فيه
11	• كتاب (الفهرست) للنديم
14	• الإباضية في كتاب «الفهرست» للنديم
16	⊙ المبحث الأول: إشارات (الفهرست) المتفرقة إلى الإباضية
16	• المقالة الأولى
16	• المقالة الثانية
18	• المقالة الثالثة
21	• المقالة الخامسة
25	• الإشارات المتفرقة
27	⊙ المبحث الثاني: حديث (الفهرست) عن متكلمي الخوارج ومصنفاتهم
30	• الملاحظات العامة
32	• تراجم أعلام هذه المقالة
32	1. اليمان بن رباب
33	2. أبو علي يحيى بن كامل بن طليحة الجحدري
33	3. أبو علي محمد بن حرب الصيرفي الهلالي
34	4. عبد الله بن يزيد الإباضي
36	5. حَفْص بن أَشْيَم
36	6. صالح
36	7. داود

- 36 8. زياد الأعصم
- 38 9. إبراهيم بن إسحاق الإباضي
- 38 10. صالح الناجي
- 38 11. الهيثم بن الهيثم
- 38 12. خطاب
- 39 **① المبحث الثالث: حديث (الفهرست) عن فقهاء الشراة ومصنفاتهم**
- 42 • الملاحظات العامة
- 44 • تراجم أعلام هذه المقالة
- 44 1. جبير بن غالب؛ أبو فراس الخارجي الموصلي
- 46 2. أبو الفضل القرطوسي
- 46 3. أبو بكر محمد بن عبد الله البردعي
- 46 4. أبو القاسم الحديثي
- 48 **جريدة المصادر والمراجع**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله،
 وعلى آله وصحبه ومن والاه

● تمهيد:

مما تواطأ عليه أهل البحث والتحقيق في التراث المخطوط: دراسة صحة نسبة الكتاب إلى مؤلفه، بتوثيقه من مصادر قديمة معتمدة نصّت عليه، أو أشارت إليه، ككتاب (الفهرست) للنديم في المتقدمين، وكتاب (كشف الظنون) لحاجي خليفة في المتأخرين. وقاعدة هذا التوثيق في عمومها تسري على التراث الإباضي، لكن المصادر المشار إليها آنفا لا تسعف الباحث بشيء في مراده، لأنها تكاد تخلو من ذكر المؤلفات الإباضية، فيصير الاعتماد عليها في رصد النتاج العلمي الإباضي ومؤلفيه أمراً غير ذي بال.

وتسعى هذه الدراسة إلى استقراء الحضور الإباضي في كتاب (الفهرست) للنديم في القرن الرابع الهجري، والمؤمل أن تعقبها دراسات أخرى عن سائر الكتب المصنفة في هذا الفن، لتكون نواة صالحة للبناء عليها في موضوع الدراسات الإحصائية.



◎ مقدمات عن كتاب الفهرست وموضوعه:

• عِلْمُ «الْفَهْرَسَةِ الْوَصْفِيَّةِ»:

تدور الكتب المعنية بتعداد المصنّفات - مثل كتب الفهارس والأثبات والمشيّحات والبرامج - حول نوعٍ من التأليف صار يُعرَف الآن بعلم الفهرسة الوصفية، أو «الببليوغرافيا»، وكان لعلماء المسلمين فضلُ السَّبقِ فيه، وإنْ بَرَزَ بِصُورَةٍ أَكْبَرٍ عند المستشرقين في القرن المنصرم، بعد ظُهورِ الطباعة، وضخامةِ الموادِّ التي تَصُدَّرُ عن المطابع، والعَجَزِ عن رَصْدِ الكثير منها.

والفهرسةُ تُشيرُ إلى مواقع المعلومات في كتابٍ أو مقالٍ أو نشرةٍ أو مَكْتَبَةٍ أو أيِّ مَظَنَّةٍ من مَظَانِّ الْعِلْمِ، وغالبًا ما يكون ترتيبُ موادِّها حسبَ حُرُوفِ الهجاء، ويُراد منها استعادةُ المعلومات عند الحاجة إليها. وقد أَصْبَحَتِ الْيَوْمَ فَنًّا مُسْتَقِلًّا بذاته يُدْرَسُ في الجامعات، وإنْ كانت الحِزْبَةُ والدُّرْبَةُ والممارسة هي التي تصنعُ مُفَهَّرِسًا مُتَقِنًا بارِعًا يستطيعُ إيصالَ المعلومة إلى الباحث من أقرب طريق.

ولعلَّ أقدمَ عَمَلٍ أُلْفَ بالعربية على شاكلة الفهارس المكتبيّة: كتابُ «الْفَهْرِسْتِ» لِأَبِي الْفَرَجِ مُحَمَّدَ بْنِ إِسْحَاقَ التَّدِيمِ (ت 20 شعبان 380هـ). لكنّه ليسَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ سُنَّةَ الْفَهَارِسِ، فقد سبقه جملةٌ أعلامٍ وضعوا ما يُمكنُ عَدُّهُ التَّوَاتُؤَ الْأَوَّلَى لَهَا، وإنْ كانت لا تَرْتَقِي إلى مُستَوَاهِ مِنْ حَيْثُ شُمُولُهَا وَدِقَّتُهَا وَمَنْهَجُهَا، «هذا إلى جانب إعداد الفهارس للمكتبات

الشهيرة في تلك العصور السَّالفة، وقد بقي عددٌ قليل من تلك الفهارس وضاع أكثرها، على أنَّ أخبارها قد نُقِلَتْ إلينا¹.

أما الفهرست للنديم فهو «كتاب مؤسَّس في حركة رصد الإنتاج الفكري العربي الإسلامي، وإسهامات العلماء العرب والمسلمين في الحضارة الإنسانية حتى نحو نهاية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي - عصر النهضة في الإسلام - الذي بلغت فيه الحضارة الإسلامية أوج عظمتها، وازدهرت فيه حركة التأليف والترجمة والنقل، واتضح فيه إسهام العلماء العرب والمسلمين في تطور العلم الإنساني، واستوت فيه الأفكار والمذاهب الكلامية والفقهية والنقدية، واكتملت فيه المدارس النحوية واللغوية والتاريخية التي أثَّرت في تطور حركة التأليف الإسلامي في العصور التالية»².

وغير خافٍ أن النديم لم يستوعب النتاج المؤلف في القرون الأربعة الأولى كله، ولم يدَّع ذلك، فقد فاتته ذكر الكثير من الكتب المنتمة لتلك الحقبة، وقصر عن الوصول إلى معلومات أخرى حول بعض الكتب، «وهو

¹ الفهرست لابن النديم؛ صياغة حديثة؛ بتحقيق: ناهد عباس عثمان. (مقدمة التحقيق) ص 14 - 15. وقد اقتبسْتُ منها بالمعنى بعض ما كتبه هنا عن الفهارس العربية عامة، وفهرست النديم خاصة. كما استفدت فائدة كبيرة من دراسة بعنوان: «الفهارس التحليلية أهميتها وقيمتها»، كتبها الدكتور المؤرخ عبد العزيز الدُّوري، تمهيداً لموسوعة: «الجامع لنصوص الاقتصاد الإسلامي»؛ الصادر أولُ أجزاءها عن مؤسسة آل البيت للفكر الإسلامي في عمَّان، سنة 1423 هـ/ 2002 م. وانظر مقدمة الدكتور أيمن فؤاد سيد على نشرته للفهرست الآتي توثيقها.

² الفهرست؛ لأبي الفرج محمد بن إسحاق النديم؛ بتحقيق: أيمن فؤاد سيد. من مقدمة المحقق ص 1. وهي الطبعة المعتمدة هنا في جميع الإحالات.

ما لا يَعِيبُ كتابه، لأنه قَصَدَ التَّأْلِيفَ في موضوع موسوعي كان هو رائده الأول³.

• تطور علم «الفهرسة الوصفية» وأهم المصنفات فيه:

فَتَحَ النَّدِيمُ⁴ بوضعه (الفهرست) بابَ الكتابة في هذا العلم، وصار الحجة والمعتمد لمن لحقه، نظرًا لمنهجه الشمولي المنظم. ثم سار على منواله بعد ذلك جملة مصنفين، أشهرهم:

1. عصام الدين أحمد بن مصطفى المعروف بطاشكُبري زَادَة (ت968هـ) في كتابه الموسوم «مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم» وهو متأخر جدا عن النديم.
2. مصطفى بن عبد الله كاتب جَلِّي القسطنطيني الشهير بحاجي خليفة (ت1067هـ) في كتابه «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون»، وقد أفاد في وضعه مِنْ جهود مَنْ سبقه، واختلف منهجه فيه بين الإطالة والإيجاز حسب المواد المتوافرة بين يديه فيما يبدو.

³ الفهرست للنديم بتحقيق أيمن فؤاد سيد؛ من مقدمة المحقق ص 3.

⁴ دَرَجَ على أقلام الكاتبين تسميته اختصارًا: ابن النديم. وصَوَّبَ غيرَ واحد من المحققين خطأ ذلك، لأن النديم صفةٌ له لا لأبيه. ومن نبّه عليه العلامة الراحل عبد الفتاح أبو غدة (ت1417هـ) في تحقيقه لسان الميزان 6/ 557. وقد ذكر هنالك الأدلة على ذلك.

3. إسماعيل بن محمد أمين الباباني البغدادي (ت1339هـ) في ذيله على كشف الظنون المسمى «إيضاح المكنون»، وفي كتابه الآخر: «هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين».

وهو في الأول يستدرك على أصله ما فاته، أو ما أُلّف بعد زمانه، وربما كرر ما في الأصل لزيادة فائدة أو تصحيح. وبلغت مواد كتابه نحوًا من تسعة عشر ألف عنوان. أما الثاني فمنهجه مختلف، وهو جارٍ على طريقة ذكر المؤلف أولاً ثم مؤلفاته ثانياً⁵.

ولعل الطابع المعجمي المنظم الذي تميز به (كشف الظنون) جعل عددًا من المصنفين يتجهون إلى وضع ذيولٍ له، يستدركون عليه فيها ما فاته، وقد اشتهر ذيل الباباني من بينها نظرًا لأنه نُشر مع أصله، ووُزّع على نطاق واسع في العالم الإسلامي، على الرغم من وجود أكثر من عشرة ذيول أخرى، منها ما هو مخطوط ومنها ما هو مفقود⁶.

ولا شك أن النتاج الإسلامي العربي عبر قرون خلّت من عهد النديم إلى الباباني إلى عصرنا تراكم وتزايد، حتى بلغ رصيدًا ضخماً لا يسايره في تطوره إلا الآلات الحديثة ذات التقنية العالية، وإذا كانت سعة

⁵ ظهرت بعد ذلك كتبٌ تُعنى في المقام الأول بتراجم المؤلفين والمصنفين. ولا يخفى أن فرقاً كبيراً بينها وبين ما يكون أساساً محوره الكتاب وموضوعه قبل مؤلفه. ومن أبرز الكتب المتأخرة المؤلفة على هذه الطريقة: «معجم المؤلفين» لعمر رضا كحالة، وما كُتب عليه من مستدركات.

⁶ نَبّه إلى ذلك الأستاذ الباحث محمد خير رمضان يوسف في تقديمه لكتاب «السر المصون على كشف الظنون»، وهو أحد تلك الزيول، واستقصى في خاتمة مقدمته ما وَقَفَ عليه من زيول أخرى.

اطلاع العالم وتبحُّره في الماضي مفتاحاً يؤهِّله إلى ولوج باب إحصاء التآليف وعدّها فإن ما تفرزه المطابع اليوم لا يحصيه عقلٌ بشري ولا يستقصيه، دَعُ ما استحوذت عليه خزائن الكتب ودُور المخطوطات من تراث عريق، قد يُعَمَّر حيناً ألف سنة، وهو في الحقيقة دَفِينٌ منذ ذلك الحين، لا يُعلم حاله، ولا يُدرى أين يكون مآله.

وما يعنيننا هنا هو الوقوف على القوائم المعدّة لمصنفات الإباضية، سواء من قَبْلهم أو من قبل غيرهم، في محاولةٍ لرصد التطور التاريخي لحركة التآليف في هذا المجال.

• كتاب (الفهرست) للنديم:

صَدَّر النديمُ كتابَه بهذه العبارة التي أوجز فيها نَعَتَه: «هذا فهرستُ كتبِ جميع الأمم من العرب والعجم، الموجود منها بلغة العرب وقلمها في أصناف العلوم وأخبار مصنفها، وطبقات مؤلفيها، وأنسابهم وتاريخ مواليدهم ومبلغ أعمارهم، وأوقات وفاتهم، وأماكن بلدانهم، ومناقبهم ومثالبهم، منذ ابتداء كل عِلْمٍ اختُرِع إلى عصرنا هذا، وهو سنة سبع وسبعين وثلاث مئة للهجرة». فكتابه هذا يحوي رصدًا لِمَا بلغه من نتاج المعرفة الإنسانية خلال القرون الأربعة الأولى.

والنديم البغدادي لم تذكر مصادرُ ترجمته رحلاتٍ له خارج العراق، غير أن أسواق العراق كانت مهوى أفئدة كثيرٍ من أهل العلم ومصنفاتهم، وكان النديم ورّاقاً ابنَ ورّاق، واسع الاطلاع على الكتب، حسن التمييز

بينها. يصفه الوزير جمال الدين القفطي بأنه «كان كثير البحث والتفتيش عن الأمور القديمة، كثير الرغبة في الكتب وجمعها وذكر أخبارها وأخبار مصنفيهـا ومعرفة خطوط المتقدمين»⁷. وحوى الفهرست في مجمله نحوًا من ثمانية آلاف عنوان، مع تصنيف دقيق للعلوم وفروعها.

صدرت للفهرست نشرات عديدة، وترجمات إلى بعض اللغات، وكُتبت حوله أبحاث كثيرة. ولعل أحسن طبعته: نشرة مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، وهي طبعة اعتمدت على نسخة عتيقة منقولة من دستور المؤلف⁸ الذي كتبه بخط يده، وحاكى فيها ناسخها طريقة المؤلف في الكتابة، فوضع بياضًا مكان البياض في نسخة الأصل، ما يشير إلى أن النديم كان ينوي استكمال بعض النواقص في كتابه. والنسخة المخطوطة العتيقة المشار إليها موزعة الآن بين مكتبتي: شيلستريتي بدبلن في إيرلندا (برقم 3315)، وشهيد علي باشا بالسليمانية في إستانبول بتركيا (برقم 1934).

⁷ «إنبأه الرواة على أنباء النحاة؛ 1 / 42.

⁸ الدُّسْتُور: هو أصل الكتاب الذي كتبه مؤلفه بخطه واعتمده، وأصبح هو المرجع المعول عليه. وجمعه: دساتير. وهو مصطلح قديم، استعمله جماعة من المصنفين؛ أبرزهم: النديم (ق4هـ) في الفهرست، وابن أبي أصيبعة (ق7هـ) في عيون الأنباء. وهو مرادف للمُبَيَّضَة. انظر: ألف باء المخطوطات العمانية؛ بقلم كاتب هذه الأسطر.

[illegible]

• الإباضية في كتاب «الفهرست» للنديم:

بالرغم من طول الزمن على فهرست النديم - وقد مضت عليه عشرة قرون ويزيد - نستطيع القول إنه أوفى مصدر - من مصادر الفهرسة الوصفية - تحدّث عن كتب الإباضية، سواء في إشارات المتفرقة أم فيما عقده من فصول مفردة للحديث عنهم. فقد أفرد في مقاله الخامسة عن تصانيف أهل الكلام وشيوخ الفرق فنًا مستقلًا في أخبار متكلمي الخوارج وأسماء كتبهم، وأفرد في مقاله السادسة عن تصانيف الفقهاء فنًا مستقلًا في فقهاء الشراة، وهو غيره يحشر الإباضية في زمرة الخوارج، ويدخلهم مع غيرهم ضمن الشراة، لكن غيره لم يُفرد الحديث عنهم. هذه واحدة.

ثم إنَّ ما ذكره النديم مقبولٌ نوعًا ما حسب اطلاعه، وحسب ما صُنّف إلى زمانه، بينما نكاد نجزم أن الآخرين - مع تأخّرهم - لم يطلعوا على سِفْرِ من تصانيف الإباضية في عصورهم أو ما سبقها، وما زادوا على قول النديم شيئًا يُذكر!

وإنَّ مِنَ الإجحاف أن نزعِم أن النديم كان يبحث لنفسه عن عُذْر حين صَدَّر حديثه عن الخوارج بقوله⁹: «وليس جَمِيعُهُمْ صَنَّفَ الكُتُبَ، ولعلَّ مَنْ لا نعرف له كتابًا قد صَنَّفَ ولم يَصِلْ إلينا، لأنَّ كُتُبَهُمْ مستورةٌ

⁹ مج 1/ ص 651. وذَكَر مثله في مج 2/ ص 125 عند حديثه عن فقهاء الشراة.

محفوظة»، بل الأولى في حقه أن يُقال إنه بذل جهده حتى وصل إلى هذه النتيجة. وقد يصدق على غيره الظنُّ أنه وجد العذر حاضرًا فتَلَبَّسَ به¹⁰.

وكتاب «الفهرست» مصنَّف في عشر مقالات هي أصول الكتاب، ثم تحت كل مقالة فنونٌ لا تستوي عدًّا. وهذا هو ترتيب مقالاته:

- المقالة الأولى: في وصف لغات الأمم ونعوت أقلامها وأنواع خطوطها، وأسماء كتب الشرائع المنزلة، ونعت القرآن والكتب المصنفة في علومه.
- المقالة الثانية: في النحويين واللغويين وأسماء كتبهم.
- المقالة الثالثة: في الأخباريين والرواة والنسابين والأدباء والمترسلين وأسماء كتبهم.
- المقالة الرابعة: في الشعراء وطبقاتهم وأسماء رواتهم وصنّاع دواوينهم.
- المقالة الخامسة: في المتكلمين وأصحاب الفرق وأسماء كتبهم.
- المقالة السادسة: في الفقهاء والمحدثين وأئمة المذاهب وأسماء كتبهم.
- المقالة السابعة: في الفلاسفة والمنطقيين والمهندسين والأطباء وغيرهم.
- المقالة الثامنة: في الأسمار والخرافات والشعوذة وأسماء الكتب المصنفة فيها.
- المقالة التاسعة: في مذاهب الأمم واعتقاداتها وأسماء كتبها.
- المقالة العاشرة: في الكيميائيين والصنعويين من الفلاسفة وأسماء كتبهم.

¹⁰ أقول ذلك لأن الحقيقة المُرّة تُثبت أن الجماعات الإباضية في الأقطار المتباعدة تعرضت لاضطهاد واعتداء متكررين من قبل مخالفيها، ما حدا بها إلى الابتعاد عن محيط النزاع الفكري إلى مناطق نائية تحفظ فيها مبادئها وتصور تراثها. وهذا ما يبرر كون كتبهم مستورة محفوظة.

وبعد تَتَبَّعِي لهذه المقالات واحدةً واحدةً خلصتُ إلى مادة لا بأس بها عن الإباضية، أعرضها فيما يلي مفصلةً مع التعليق عليها.

◎ المبحث الأول: إشارات (الفهرست) المتفرقة إلى الإباضية:

أعني بهذه الإشارات: ما ورد عَرَضًا في ثنايا الفهرست، دون أن يُفرد المؤلف حديثًا عنه، وهي كما نعتُّها متفرقةً في أكثر مقالاته.

• المقالة الأولى:

أما المقالة الأولى فلا إشارة فيها البتة إلى الإباضية، لا من قريب ولا من بعيد، مع أنها تتضمن ذكر القراء والمفسرين ومصنفاتهم، ويُعَدُّ منهم: إمام الإباضية الأول أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي (ت 93هـ) المقرئ المفسر¹¹.

• المقالة الثانية:

يُورِدُ النديم في المقالة الثانية اسم «شُبَيْل بن عَزْرَةَ الضُّبَيْي» عند تعداده أسماء فصحاء الأعراب المشهورين، ويقول عنه: «من خطباء الخوارج وعلمائهم، وهو صاحب (قَصيدة الغريب). وكان أولًا رافضيًا نحو سبعين سنة، ثم انتقل إلى الشَّرَاية، وقال: برئت من الروافض في القيامة وفي دار المَقَامَةِ والسَّلَامَةِ»

¹¹ أما المفسر فلا ريب فيه، وشهرته في جانب التفسير لا تخفى. وأما المقرئ فلأن ابن الجزري ذكره في طبقات القراء، وعَدَّ له قراءة. قال: «جابر بن زيد أبو الشعثاء الأزدي البصري؛ وَرَدَتْ له حروفٌ في القرآن» اهـ. انظر: غاية النهاية في طبقات القراء؛ لابن الجزري. الترجمة رقم 868.

ومات بالبصرة وله بها عقب¹².

وهذا الرجل لا يذكره الإباضية في كتبهم، فلا يمكن اعتباره واحداً منهم¹³. وكان راويةً نسابة شاعراً عالماً بالغريب، وصفه ابن دريد بالعلامة، وحدّد زمانه بقوله: «أَدْرَكَ دولة بني العباس»¹⁴. فهو من أهل النصف الأول من القرن الثاني للهجرة¹⁵.

¹² معج 1/ ص 123. وأعاد النديم ذكره عند تعداد القصائد التي قيلت في الغريب معج 1/ ص 548، وهنا صَبَطَ المحقق اسم والده هكذا: «عُزْرَة» وفاته أن يذكر هذا الموضوع في فهرس الأعلام.

¹³ إنها ذكرته هنا لاستقصاء كل معلومة وردت في الفهرست عن (الخوارج)، ثم أفرز ما يتعلق بالإباضية وأعقب عليه. لأن المؤلف كما قلْتُ يعمّم إطلاق لفظ الخوارج على الإباضية والصفورية والأزارقة والنجيدات، وليس مما يعنينا في هذا المقام مناقشة هذه القضية، فلها محلها من الدراسات العلمية الكثيرة. لكن نقول: إنها أمر مشكل تتعاوره جوانب ثلاثة:

- الأول: إصرار الجَمِّ الغفير من أصحاب مؤلفات القرون الأولى على حشر الإباضية ضمن الخوارج.
 - الثاني: إجماع الإباضية على دفع هذه (التهمة) وعدم القبول بها.
 - الثالث: غياب تراث الخوارج ومصادر تاريخهم. وهذا ما أوجد مُصطلحاً غير متفق على تفسيره.
- ثم إن ضالّة المادة التاريخية عن الإباضية في القرون الأولى أيضاً زادت المسألة تعقيداً، فصار من الصعوبة بمكان تمييز أعلام الخوارج ومواطنهم ومصنفاتهم وإلى أي زمن عاشوا وبقيت أفكارهم. ويظل اختلاف المبادئ بينهم وبين الإباضية الحكم الفرد في هذه القضية.

¹⁴ الاشتقاق؛ لابن دريد ص 119، 318.

¹⁵ انظر بعض أخباره في: البيان والتبيين 1/ 343. وتاريخ الموصل ص 68. وشرح غريب الفصيح لأبي العباس التميمي ص 552. ومعجم الأدباء؛ 3/ 1412. وإنباه الرواة للقفطي 2/ 76. وشعر الخوارج ص 208.

• المقالة الثالثة:

أما المقالة الثالثة فعَدَّ فيها من النَّسَّابين «صُحَّارًا العبدِيَّ». قال: «وكان خارجيًا. وهو صُحَّار بن العباس؛ أحد النسَّابين والخطباء في أيام معاوية بن أبي سفيان، وله مع دَعْفَلْ أَخْبَارُ. وكان صُحَّار عثمانيًّا من عبد القيس، وروى عن النبي ﷺ حديثين أو ثلاثة، وله من الكتب: (كتاب الأمثال)»¹⁶.

وصحَّار المذكور هو صُحَّارُ بن العَبَّاسِ العَبْدِيُّ (50 - 100هـ): متكلمٌ فقيه نَسَّاب، مِنْ بني عبد القيس من عُمان، وأحد فصحاءهم وخطبائهم. وهو رَجُلٌ ذكرته جملةٌ مصادر، وتناقضتْ في بيان أمره، وحقيقة انتمائه، فترجَمَ له: ابنُ سعدٍ في الطبقات، وابن عبد البرِّ في الاستيعاب، وابن حجر في الإصابة، وفي لسان الميزان، والباباني في هدية العارفين، والزركلي في الأعلام، وبكر أبو زيد في طبقات النسَّابين.

وأشار إلى شيءٍ من أخباره: ابنُ الكلِّيِّ في نَسَبِ مَعَدٍّ، وخليفةُ بن خَيَّاط في الطبقات، وابن حبيب في المُحَبَّر، والجاحظ في الحيوان، وفي البيان والتبيين، وابن قُتَيْبَة في المعارف، وفي عيون الأخبار، والبلاذري في أنساب الأشراف، والمبرِّد في الكامل، والطبري في تاريخه، وابن عبد البرِّ في بَهجة المَجَالِس، وابن رشيق في العمدَة، والسمعاني في الأنساب، وابن حمدون في التذكرة الحمدونية، وابن الأثير في الكامل، وفي أسد الغابة،

¹⁶ مع 1/ ص 281.

والتَّوَيَّرِيَّ فِي نِهَآيَةِ الْأَرْبِ، وَابْنُ خَلْدُونِ فِي تَارِيخِهِ، وَالْحَمِيرِيُّ فِي الرُّوضِ الْمَعْطَارِ، وَالسَّيُوطِيُّ فِي حَسَنِ الْمَحَاضِرَةِ، وَالزَّيْدِيُّ فِي تَاجِ الْعُرُوسِ.

نَعَتُهُ النَّدِيمُ فِي فِهْرَسْتِهِ كَمَا رَأَيْنَا بِأَنَّهُ «أَحَدُ النَّسَابِينَ وَالْخُطْبَاءِ فِي أَيَّامِ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ» وَأَنَّهُ كَانَ خَارِجِيًّا، وَذَكَرَ لَهُ كِتَابًا فِي الْأَمْثَالِ. كَمَا ذَكَرَ الْجَا حِظُّ أَنَّ لَهُ تَأْلِيفًا فِي النَّسَبِ¹⁷. وَأُورِدَ لَهُ رُؤَاؤُهُ الْحَدِيثِ وَأَصْحَابُ الْمَسَانِيدِ حَدِيثًا أَوْ حَدِيثَيْنِ رَوَاهَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ، وَعُدَّ مِنَ النَّسَابِينَ وَالْخُطْبَاءِ وَأُتِمَّةُ الْبَلَاغَةِ وَالْفَصَاحَةِ.

وَالْإِبَاضِيَّةُ يَعْتَبِرُونَهُ مِنْ أَتَمَّتْهُمُ الْأَوَائِلُ فِي الْبَصَرَةِ، تَرْجَمَ لَهُ: أَبُو سَفْيَانَ فِي أَخْبَارِ أَهْلِ الدَّعْوَةِ (وَهُوَ كِتَابٌ مَفْقُودٌ) وَأَبُو عَمَّارٍ فِي سِيرِهِ، وَالدَّرَجِينِيَّ فِي طَبَقَاتِ الْمَشَايِخِ، وَالشَّمَاخِيَّ فِي السَّيْرِ، وَابْنُ مَدَّادٍ فِي صِفَةِ نَسَبِ الْعُلَمَاءِ.

وَأُورِدَ لَهُ فُقَهَاؤُهُمْ وَمَتَكَلَّمُوهُمْ جَمْلَةً مِنْ الْآثَارِ الْفَقْهِيَّةِ وَالْآرَاءِ الْعَقْدِيَّةِ، وَعَدَّوْهُ شَيْخًا لِأَبِي عُبَيْدَةَ مُسْلِمِ بْنِ أَبِي كَرِيمَةَ التَّمِيمِيِّ (الْمُتَوَفَى سَنَةَ 150 هـ تَقْرِيبًا)، وَهُمْ لَا يَذْكُرُونَ صُحْبَتَهُ، وَيَجْعَلُونَهُ مِنْ أَعْلَامِ الْخَمْسِينَ الثَّانِيَةِ مِنَ الْمِائَةِ الْهَجْرِيَّةِ الْأُولَى (50 - 100 هـ) وَرَوَوْا قِصَّةَ تَفِيدُ بَقَاءِهِ حَيًّا إِلَى مَا بَعْدَ وَفَاةِ الْحَجَّاجِ بْنِ يُونُسَ سَنَةَ 95 هـ، وَعَلَيْهِ يَكُونُ قَدْ عُمِّرَ زَمَنًا طَوِيلًا¹⁸.

¹⁷ الْحَيَوَانُ لِلْجَا حِظِّ 3 / 209.

¹⁸ تَفْصِيلُ الْكَلَامِ عَنْ صَحَارِ الْعَبْدِيِّ مَعَ تَوْثِيقِ أَقْوَالِهِ وَأَثَارِهِ فِي بَحْثِ مُسْتَقْلِلٍ، عَسَى أَنْ يَصْدُرَ قَرِيبًا بِعَوْنِ اللَّهِ.

اسم من روى عنه عميد بن قسرة

الكثير المتروى عنه زيد بن الكيس اللعين الجهمي عبد وخالجهمي عارف
 لا يلقاه من كثر منهم الكلابي من جماعة من كلاب في أيام يزيد بن معاوية
 بأيام الجرب واجاد بها وهو واحد من احدث عنه الماثر وادخله يزيد بن معاوية
 في سائرهم وله من الكتب كتاب الامثال نحو خمسين وثقة رابته

صالح بن العبدى وكان جاريًا وهو صحابى من العباس احدث التساين الخطا
 في أيام معاوية بن ابي سفيان وله مع دغف الاخبار وكان صحابيا من عبيد العرش
 وروى عن النبي حديثين اوله وله من الكتب كتاب الامثال
الشري من العظامي ويكنى ابا المثنى الطليق اسمه الوليد بن الحصين احدث
 التساين الرواة للاخبار والانشاب والدواوين ومن خط البوسفي وكان كذا
 روى عن الاصمعي انه قال احدث بعض الرواة قال قلت للسري ما كانت العرب تعرف
 ضلالتهم على موتاهم الا اذ رى بعلث له كانوا

ما كنت وكذا كاد لا ين اوفىك رويك حتى سمعت الخلق ياعنه

قال فاذا انابه يوم الجمع يحدث به في المعصورة وللشري قصده في الغريب
صالح الحنفي وابن الكوا واسمه عبد الله بن عمرو بن شيبه
 شكر كان ناسبا لما وكان من الشيعة من اصحاب علي عليه السلام والواحد
 الى ابن الكوا كان ناسبا لقول مشككين الواسي

مما نرى الى بني الكوا انقصوا حكمهم فانساب الرجال
الصعدي واسمه صالح بن عمر بن انا سمى بالصعدي لان اباة اطلاق المقام
 بالصعدي كان عارفا باخبار النبي عليه السلام وله من الكتب

كتاب غزاه ذات الايا طيل

محمّد بن سعيد بن عمير بن همدان يكنى ابا عمير وكان الهيثم بن عدي
 يروي عنه ويكره وكان راوية الاخبار وقد سمع الحريش وكان ضعيفا عند
 المحمدين وتوفي سنة اربع واربعين ومائة **سعد العصور** مولى بني امية كان
 ناسبا وعنه اخذ العتيق اخبار اهله ومناقبهم واشجارهم

• المقالة الخامسة:

لا شيء يستحق الذكر في المقالة الرابعة¹⁹. على حين نجد بالمقالة الخامسة مادة وافرة عن الخوارج والإباضية، فهو يفتتحها بالحديث التالي في ابتداء أمر الكلام والجدال: «قال محمد بن إسحاق: قال أبو القاسم البلخي: سميت المعتزلة بهذا الاسم لأن الاختلاف وقع في أسماء مرتكبي الكبائر من أهل الصلاة؛ فقالت الخوارج: هم كفار مشركون، وهم مع ذلك فُسَّاق. وقالت المرجئة: هم مؤمنون مسلمون ولكنهم فساق. وقالت الزيدية والإباضية: هم كفار نعمة، وليسوا بمشركين ولا مؤمنين، وهم مع ذلك فساق. وقال أصحاب الحسن: هم منافقون وهم فساق. فاعتزلت المعتزلة جميع ما اختلف فيه هؤلاء، وقالوا: نأخذ بما اجتمعوا عليه من تسميتهم بالفسق، وندع ما اختلفوا فيه من تسميتهم بالكفر والإيمان والنفاق والشرك»²⁰.

ولعلَّ هذا الموضع الوحيد الذي يذكُر فيه رأياً منسوباً إلى الإباضية، ويُفرِّق بينهم وبين الخوارج. وهذه المسألة لو عَقَلَهَا مَنْ عَقَلَهَا لَوَجَدَ فيها

¹⁹ هذه المقالة خاصة بالشعراء وطبقاتهم كما مرَّ. ولم أجد فيها شيئاً عن الإباضية سوى إشارة إلى تسمية بعض الشعراء المقلِّين، ذكر النديم منهم «هشام بن أحسن الإباضي المصري». وهو بهذا الاسم في أكثر طبعات الفهرست، أما الطبعة التي أعتمدها فُورَدَ فيها (مج1/ ص527): «هشام بن الأخضر الإيادي؛ مصري». والفرق ظاهرٌ بينهما. لذا تركتُ ذكره هنا، زيادة على أنه مجهول عند الإباضية لا يعرفونه في مصنفاتهم. وفي هذه المقالة أيضاً (مج1/ ص511) ذكر النديم - نقلاً عن كتاب «الورقة في أخبار الشعراء» لمحمد بن داود (ت296هـ) - أن للخليل بن أحمد شعراً في عشرين ورقة. والخليلُ ممن تتنازعهُ جُلُّ الفرق الإسلامية.

²⁰ مج1/ ص555-556. وسقطتْ هذه الفقرة برمتها من بعض طبعات الفهرست.

أصلاً عظيماً من أصول الإباضية؛ كافياً لتبرئة ساحتهم من تهمته
(الخارجية).

بسم الله الرحمن الرحيم
المقدمة الخامسة من كتاب الفهرست
في أخبار العلماء وأشهر ما ضفوه من الكتب وهي خمسة فنون
الفن الأول في أخبار متكلمي المعتزلة
والمزجيه وأئمة الكلام والجدال
لمسميت المعتزلة بهذا الاسم
قال محمد بن إسحق قال أبو القاسم البخشي سميت المعتزلة بهذا الاسم لان الاختلاف
وقع في أسماء مرتكبي الكبار من أهل الصلوة فقالت الخوارج هم كفار مفسدون
وهم مع ذلك فساق وقال المزجيه هم مؤمنون مسلمون ولكنهم فساق وقالت
الزيدية والإباضية هم كفار نعمة وليسوا بمشركين ولا مؤمنين وهم مع ذلك
فساق وقال أصحاب الحسن هم منافقون وهم فساق فاعتزلت المعتزلة جمع ما
اختلف فيه هؤلاء وقالوا نأخذ بما اجتمعوا عليه من تسميتهم بالنسوة وندع ما اختلفوا
فيه من تسميتهم بالكفر والايان والفاق والشرك وقال أبو بكر بن الأحمد ان الاعتزال
لحق بالمعتزلة في أيام الحسن ع ما ذكره قوم ولم يصح عندنا ولا رويناه قالوا المشهور
عند علماءنا ان ذلك اسم حدث بعد الحسن قالوا السبب فيه ان عمرو بن عبد الملك مات
الحسن وجلس قاده مجلسه فاعتزله عمرو ونعم معه فسمواهم قاده المعتزلة واتصل ذلك
بعمره فظاهر تسمية الرضا به وقال أصحابه ان الاعتزال وصف مدحه الله في كتابه
فهمذا انعاق حسن فملوه
ذكر أول من تكلم في القدر والعدل والتوحيد
قال البخشي أو من تكلم في القدر والاعتزال أبو نوح الأسوارك رجل من الأساورة
يعرف ببسنويه وتابعة معبد الجهنمي ويقال ان سليمان بن عبد الملك تكلم فيه
اسما من أخذ عنهما العدل والتوحيد
فراث بن عبيد الله بن عبد الوتر قال أبو الحسن أحمد بن محمد بن علي بن محمد الجعفي
أبو الخير بن عمي أحمد وعمر هرون بن الواحد بن أبي علي بن زرقان واسمه محمد بن شداد صاحب

ثم يُفرد النديم أحد فنون هذه المقالة - وهو الرابع - للحديث عن أخبار متكلمي الخوارج وأسماء كتبهم. وسنورده مع مناقشته لاحقاً. وفي المقالة نفسها نجد المؤلف يتناول الكلام على مذاهب الإسماعيلية ومعتقداتهم، ويصدره بِنْتَفِ تاريخية عنهم، تَتَبَّع فيها دُعائهم والقائمين بأمرهم، حتى أتى إلى أبي القاسم الحسن؛ إمامهم في مستهل القرن الرابع، فذكر من أخباره ما يلي: «وفي أيامه ظهر في كثيرٍ من أتباعه الاستخفاف بالشرعية، والوضع للنبوة، فخرج عليه رجلٌ يُعرف بأبي يزيد المحتسب، واسمه مُحَمَّد بن كَيْدَاد البربري البراتي²¹، من [بني] يقرن²² الإباضي النكاري، ويُعرف بصاحب الحمار. فكثُر أتباعه ومعاونوه، فحاربه وحصره في المهديّة إلى أن مات الحسن في الحصار.

فقام بعده ابنه إسماعيل ويكنى أبا طاهر، فأظهر تعظيم الشريعة، وأظهر أبو يزيد مذهب الإباضية، فأَقْفَلَ عنه الناس، فَقُتِلَ وَصُلِبَ، وذلك في سنة ست وثلاثين وثلاثمئة. فلما كان في سنة أربعين ظهر في البلد قريبٌ مما كان ظهر في أيام الحسن من الاستخفاف بالشرع فعاجل الله إسماعيل بالمنية...»²³.

وهنا نلاحظ عند النديم دقّة وإحاطة لا نكاد نجدها في سائر ما أورده عن أعلام الإباضية وأخبارهم، فهو يذكر الرجل باسمه وكنيته

²¹ كذا في الطبعة المعتمدة. وفي الطبقات التي قبلها: (الزناقي). وهو الأصح.

²² كذا وردت في الطبعة المعتمدة بالقاف. وصوابها بالفاء كما ورد في الطبقات السابقة.

²³ مج 1/ ص 668.

وألقابه ونسبه العقدي والقبلي والمكاني، ويؤرخ زمان وفاته. فيقول إنه: أبو يزيد مخلد بن كيداد البربري الزناتي اليفرني الإباضي النكاري المحتسب صاحب الحمار²⁴، توفي سنة 336هـ. ويشارك النديم في ذلك عددٌ غير قليل من المصادر غير الإباضية أوردت أخبار أبي يزيد، وأنا هنا لا أعطي معلومة النديم قدرًا من الإشادة، ولا أعدها شيئًا يُحسب له، بقدر ما أحتسب للنديم سكوته، وروايته الخبرَ دونَ زيادة منه أو تعليق. لا كما فعل غيره من رواة الأخبار.

فأبو يزيد - في نظر أكثرهم - خارجيٌّ باغٍ، و(هناته) اليسيرة أعظم وأشنع من معرّات (الخليفة) وجيش الخليفة! ولا أظن قارئًا يتأمل النص السابق ثم يختلط عليه الأمر فلا يدري المحق من المبتطل. لكنك إذا أطلقت النظر في المصنفات الأخرى بأن لك حجمٌ تحوير الروايات وتشويه الحقائق. وعلى كل حال؛ هذه قضية عَرَضَتْ للنديم في سياقٍ خارج عن موضوع كتابه، فلا نطيل التعليق عليها²⁵.

²⁴ الواقع أن (صاحب الحمار) ترجمة لِلْفَظِ البربري «بوزيد». وعندما نقله المؤرخون من لسان البربر إلى العربية جمعوا بين اللفظ ومعناه، فتارةً يقولون «أبو يزيد» وتارةً أخرى «صاحب الحمار» والمعنى واحد. ثم جاء من بعدهم من فَرَّقَ بينهما، فعَدَّ إحداهما كنية والأخرى لقبًا حسب ما فَهَمَهُ من الظاهر.

²⁵ أنكر الإباضية أيضًا على أبي يزيد مخلد بن كيداد جملةً أحداثٍ ارتكبها جيشه، وعابوا سيرته لأجلها. ومن ثمَّ انصرفوا عن كتابة تاريخه وترجمته ضمن أعلامهم. وللشيخ سليمان بن داود يوسف كتاب عنوانه: «ثورة أبي يزيد جهادٌ لإعلاء كلمة الله»، دافع فيه دفاعًا شديدًا عنه، وانتقد آراء المؤرخين الإباضية وغيرهم، وانتصر له الدكتور النامي في تقديمه للكتاب (انظر طبعته الأولى في دار البعث بالجزائر؛ 1402هـ/ 1981م).

وإلى جانب حديث النديم المفرد عن «الخوارج» نراه أيضا يفرد الفن الثامن من المقالة السادسة للحديث عن «فقهاء الشراة» كما يسميهم، وهذا اصطلاح آخر حَشَرَ الإباضية ضمنه، كما يتبين عند استعراض حديثه والتعليق عليه استقلالا فيما يأتي.

• الإشارات المتفرقة:

تخلو بقية المقالات الأربع (السابعة والثامنة والتاسعة والعاشرية) من أي ذكر للإباضية. يبقى أن نورد في خاتمة إشارات النديم المتفرقة فوائد متعلقة بموضوع الإباضية، على طريقتنا في الاستقصاء والفرز، ونستعمل للوصول إليها المفاتيح التالية: عُمان، الخوارج، الشراة، أهل النهروان، العماني، الخارجي...²⁶

فما هو متعلق بعُمان من سِير الأعلام: ما ذكره في أخبار ابن دريد (ت321هـ) أن أحد أجداده «منسوبٌ إلى قرية من نواحي عُمان، يقال لها: حَمَإِي»²⁷. وقال عن ابن دريد نفسه أنه: «مضى إلى عُمان فأقام بها مدة»²⁸. وأورد في أخبار أبي سعيد السيرافي (ت368هـ) أنه «مضى إلى عُمان وتَفَقَّه بها»²⁹. وكلا الرجلين ليس من الإباضية.

²⁶ هذه المفاتيح (عُمان، الخوارج، الشراة.... وما شابهها) سوف نستعملها لاحقا في البحث عن الإباضية في جميع كتب الفهارس، حرصًا على شمولية الدراسة، ومحاولة استقصاء كل فائدة تتعلق بموضوعنا.

²⁷ مج 1/ ص 178.

²⁸ مج 1/ ص 179.

²⁹ مج 1/ ص 184.

وَعَدَّ من الخوارج: أبا عبيدة مَعْمَر بن المثنى (ت210هـ) ووصفه بأنه «كان يرى رأي الخوارج»³⁰، ونَسَبَ له من الكتب: «كتاب خوارج البحرين واليمامة». وأبو عبيدة المذكور لم يعد الإباضية من أعلامهم. وثمة كتبٌ كثيرة وَرَدَتْ في ثنايا الفهرست تتحدث عن الخوارج والشرأة وأهل النهروان وما يتعلق بهم، منسوبةً لمؤلفين غير إباضية، منها: «كتاب أهل النهروان والخوارج» لأبي مُحَمَّدٍ لُوط بن يَحْيَى الأزدي (ت157هـ)، وعدة كتب له في هذا الموضوع³¹، وكتاب «الخوارج» لأبي الحسن علي بن محمد المَدَائِنِي (ت215هـ)، وكتاب «النهروان» له، وكتاب «خبر عمران بن حطان الخارجي» له أيضا³². وكتاب «أشعار الشرأة» لِعُمَرَ بن شَبَّة (ت262هـ)³³. وكتاب «الخوارج» للهِيثم بن عدي (ت207هـ)³⁴. وكتاب «الرد على الخوارج» لبشر بن المعتمر (ت210هـ)³⁵. وشَدَّنِي كتابٌ في الأنساب لابن التَّطَّاح محمد بن صالح (ت252هـ) عنوانه «كتاب أنساب أزد عُمان»³⁶، ولا نعلم عنه أموجود أو مفقود.

³⁰ مج 1/ ص 150.

³¹ مج 1/ ص 292.

³² مج 1/ ص 321.

³³ مج 1/ ص 346.

³⁴ مج 1/ ص 313.

³⁵ مج 1/ ص 513.

³⁶ مج 1/ ص 331.

وللمدائني المتقدم ذكره «كتاب عُمان» وهو واحدٌ من كتبه عن الفتوح³⁷. وكتب عديدة عن آل المهلب منها: كتاب «نسب أبي صفرة المهلب وولده» لابن عبدة³⁸. وكتاب «أخبار آل المهلب» وكتاب «الأزارقة وحروب المهلب» كلاهما لأبي الهيثم خالد بن خدّاش مولى المهالبة (ت223هـ)³⁹. وكتاب «مناكب آل المهلب» لمغيرة بن محمد المهلب⁴⁰.

وهنا - بعد هذه الإشارات - بيانُ الموضعين اللّذين أفرد النديم الحديث فيهما عن «متكلمي الخوارج» و«فقهائ الشراة» ومصنفاتهم.

⑤ المبحث الثاني: حديث (الفهرست) عن متكلمي الخوارج ومصنفاتهم:

هذا هو «الفن الرابع من المقالة الخامسة من كتاب الفهرست. في أخبار العلماء وأسماء ما صنّفوه من الكتب». ويحتوي على «أخبار متكلمي الخوارج وأسماء كتبهم». ونصّه الكامل⁴¹:

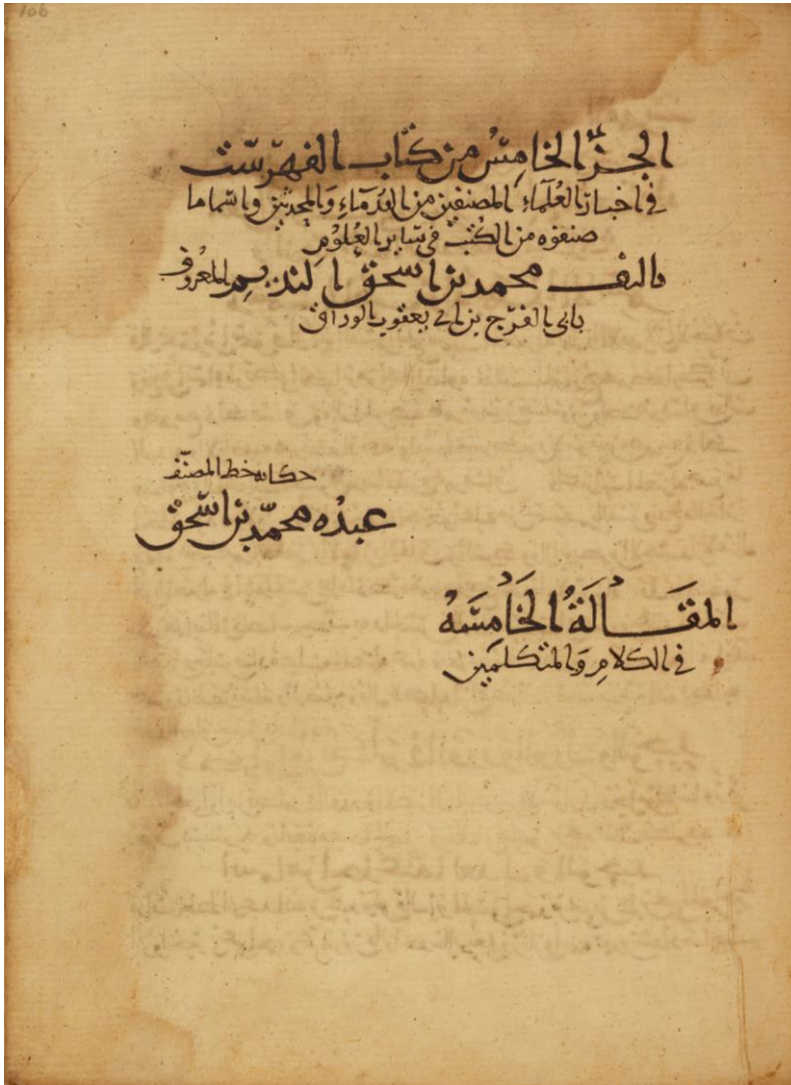
³⁷ مج 1 / ص 320.

³⁸ مج 1 / ص 325.

³⁹ مج 1 / ص 335.

⁴⁰ مج 1 / ص 336.

⁴¹ مج 1 / ص 651.



«قال محمد بن إسحاق: الرؤساء من هؤلاء القوم كثير، وليس
جميعهم صَنَّفَ الكتب، ولعلَّ مَنْ لا نعرف له كتابًا قد صَنَّفَ ولم يَصِلْ
إلينا، لأنَّ كُتُبَهُم مستورةٌ محفوظة.
فَمِنْ متكلميهم:

اليمّان بن رَبّاب: من جِلَّةِ الخوارج ورؤسائهم، وكان أولاً ثعلبيّاً، ثم انتقل إلى قول البيهسيّة، وكان نظّاراً متكلمًا مصنّفًا للكتب. وله في ذلك: كتاب (المخلوق). كتاب (التوحيد). كتاب (أحكام المؤمنين). كتاب (الرد) على المعتزلة في القَدَر. كتاب (المقالات). كتاب (إثبات إمامة أبي بكر). كتاب (الرد على المرجئة). كتاب (الرد على حماد بن أبي حنيفة).

يحيى بن كامل: أبو علي يحيى بن كامل بن طليحة الجحدري⁴²، وكان أولاً من أصحاب بشر المريسي ومن المرجئة، ثم انتقل إلى مذاهب الإباضية. وله من الكتب: كتاب المسائل التي جرّت بينه وبين جعفر بن حرب، وتُعرفُ بـ (الجليلة). كتاب (المخلوق). كتاب (التوحيد والرد على الغلاة وطوائف الشّيع).

الصّيرفي: أبو علي محمد بن حرب، من متكلمي الخوارج، وكان هلالياً من بني هلال. وله من الكتب: كتاب [.....]⁴³.

عبد الله بن يزيد: الإباضي، من أكابر الخوارج ومتكلميهم. وله من الكتب: كتاب (التوحيد). كتاب (الرد) على المعتزلة. كتاب (الاستطاعة). كتاب (الرّد على الرافضة).

حفص بن أشيم: من الخوارج. وله من الكتب: كتاب (الفرق والرد عليهم) رواه عن جُبَيْر بن غالب.

⁴² كذا في الطبعة المعتمدة. وفي غيرها: الجحدري. وهو الذي أثبتّه الباباني في هدية العارفين.

⁴³ سقط في الأصل المخطوط. وقد تكرر السقوط في مواضع كثيرة من طبعات الفهرست، وهو أمر يشترك فيه جميع ما بقي من مخطوطاته حسب علمي، وانظر ما كتبته سابقاً عن طبعة الدكتور أيمن فؤاد سيد.

ومن رجالهم الناظرين:

صالح، وداود، وزياذ الأعصم. ولهؤلاء مسائل خلاف، ولا كتاب لهم يُعرف.

ومن رؤساء الإباضية ممن له تصنيف:

إبراهيم بن إسحاق: الإباضي، وله من الكتب: كتاب (الرد على القدرية). كتاب (الإمامة).

صالح الناجي: من بني ناجية، من كبارهم. وله من الكتب: كتاب (التوحيد). كتاب (الرد على المخالفين).

الهيثم بن الهيثم: الناجي أيضاً. وله من الكتب: كتاب (الإمامة). كتاب (الرد على الملحدين).

خَطَّاب بن [.....]. وله من الكتب [.....]⁴⁴.

انتهى حديثه. والملاحظ عليه جملة أمور:

• الملحوظات العامة:

(1) بدايةً نرجع إلى القول إن الموضوعين اللذين أطل فيهما النديم الحديث قليلاً عن الإباضية هما: مقالة المتكلمين، ومقالة الفقهاء. وتأمل تقسيمه؛ حيث سمي «الخوارج» ضمن فرق المتكلمين، وعَدَّ «الشُّرَاة» ضمن الفقهاء.

⁴⁴ في النسخة العتيقة للفهرست تُرك بياض في باقي الصفحة بعد هذه الفقرة.

(2) يحشر النديمُ الإباضيةَ في زمرة الخوارج، شأنهم شأن الأزارقة والصفرية وغيرهم، وهذا شيءٌ أَلْفَنَاهُ عند جميع مَنْ كتبوا عن الإباضية، لكنَّ اللافِتَ للانتباه عند النديم نَصُّهُ على إباضية بعض مَنْ ذكرهم من الخوارج، مع عدم تسمية أحدٍ منهم بالصفري أو الأزرقى أو ما شابه ذلك.

(3) اعْتَرَفَ أن «الرؤساء من هؤلاء القوم كثير»، ولم يُعَدِّدْ سوى نفر يسير منهم، معتذراً لنفسه بقوله: «وليس جَمِيعُهُمْ صَنَّفَ الكُتُبَ، ولعلَّ مَنْ لا نعرف له كتاباً قد صَنَّفَ ولم يَصِلْ إلينا»، وهو كلامٌ صائب ومُنْصِفٌ.

(4) أشار إلى أن من أسباب جهله بكتب (الخوارج) كَوْنُهَا: «مستورةٌ محفوظة»، وهذه قضيةٌ تستدعي بحثاً واسعاً. ولعل أهم أسبابها: الاضطهاد الذي تعرض له الإباضية في شتى أقطارهم، وما تبعه من إتلاف دُورهم وحرَق كتبهم.

(5) عَدَّدَ النديم في هذه المقالة اثني عشر شخصاً، نَعَتَ ثلاثةً منهم بالإباضية: يحيى بن كامل الجحدري، وعبد الله بن يزيد، وإبراهيم بن إسحاق. وسنأتي إلى تراجعهم واحداً واحداً. ونكتفي بالقول هنا إن اثنين منهم ليسا من رجال الإباضية المعروفين عندهم، حسب ما بلغنا من أخبارهم، فضلاً عن أن يكونا من رؤسائهم. والثالث: عبد الله بن يزيد، يُصَنِّفُ ضمن المنشقين عن الصِّفِّ الإباضي كما سنوضحه.

• تراجم أعلام هذه المقالة:

إذا انتهينا من جملة الملاحظات العامة نأتي إلى تراجم مَنْ ذكرهم، كلٌّ على حِدَةٍ، وجمَلُهم كما تقدم اثنا عشر رجلاً:

1. **اليمان بن رباب:** لم يصرح النديم بنسبه، واستدرك عليه الباباني في هديته أنه بصري⁴⁵. كما لم يذكر زمانه. ونستنبط من رده على حماد بن أبي حنيفة أنه من أعلام القرن الثاني الهجري⁴⁶. ولم ينسبه النديم إلى الإباضية، إنما قال: «وكان أولاً ثعلبياً، ثم انتقل إلى قول البيهسيّة»، وهذه العبارة بعينها نجدها عند أبي القاسم البلخي في مقالاته⁴⁷، ونقل البلخي أيضاً من بعض كتب اليمان دون تسميتها⁴⁸، واقتبسها الأشعري في مقالاته⁴⁹. ومن «طرائف المذاهب» التي نقلها ابن حزم الأندلسي (ت456هـ) في رسالته (نقط العروس) قوله: «اليمان وهارون وعلي بنو رثاب: عليٌّ من أئمة الشيعة والروافض، واليمان من أئمة الخوارج، وهارون من أئمة أهل السنة، وكانوا متعادين!»⁵⁰. ونلاحظ في هذا النص ضبط اسم أبيهم بالهمز: رثاب. وأفادنا بأسماء إخوته، وأحسنُ منها ضبطُ انتماؤه

⁴⁵ هدية العارفين للباباني ص 548.

⁴⁶ حماد بن أبي حنيفة: هو ابن أبي حنيفة النعمان بن ثابت؛ إمام الحنفية المشهور (انظر ترجمته في لسان الميزان؛ بتحقيق الشيخ أبو غدة 3 / 267). ولم أجد تاريخ وفاته، لكنه توفي بعد والده أبي حنيفة المتوفى سنة 150هـ.

⁴⁷ كتاب المقالات للبلخي ص 154. وفيها تحرف اسمه إلى: البيان بن الرباب!

⁴⁸ نفسه؛ ص 151، 202، 407.

⁴⁹ مقالات الإسلاميين للأشعري 1 / 197، 200.

⁵⁰ رسائل ابن حزم الأندلسي مج 1 / ج 2 / ص 114.

الزمانى والمكانى، فقد تَرَجَّمَ أَهْلُ الجرح والتعديل لأخيه هارون بن رثاب التميمى البصرى، مؤكِّدين أنه من أهل القرن الثانى الهجرى⁵¹.

2. أبو على يحيى بن كامل بن طليحة الجحدري: نستفيد من صحبته لبشر بن غياث المريسى (ت218هـ) ومن رده على جعفر بن حرب الهمداني (ت236هـ) أنه من أهل القرن الثالث الهجرى. واستظهر البابانى أن تكون وفاته فى حدود سنة 240هـ⁵². وبِشْرٌ وجعفر من أهل بغداد، فلعل الجحدري منها. وكلاهما من أئمة المعتزلة القائلين بالإرجاء، وكان الجحدري تابعاً لهم، ثم انتقل إلى الإباضية كما يذكر النديم. ونقل أبو القاسم البلخى عنه فى عدة مواضع من مقالاته⁵³، واقتبسها الأشعري فى مقالاته، وذكر القاضى عبد الجبار فى (طبقات المعتزلة) قصة له أيام صحبته لجعفر بن حرب⁵⁴. ولم أجد عنه أكثر من ذلك. والإباضية لا يذكرونه فى كتبهم.

3. أبو على محمد بن حرب الصيرفى الهلالي: ذكره البلخى فى مقالاته فى موضع باسمه: محمد بن حرب، ووصفه بأنه من مؤلفى كتب الخوارج ومتكلميهم⁵⁵، وأشار إليه فى موضع آخر بكنيته: أبو على

⁵¹ انظر: تهذيب الكمال للمزى مج30 / ص82.

⁵² هدية العارفين للبابانى ص15.

⁵³ كتاب المقالات للبلخى ص306، 399، 404، 514، 518، 527، 528، 530، 535، 540.

⁵⁴ طبقات المعتزلة ص269.

⁵⁵ كتاب المقالات للبلخى ص154.

الصيرفي⁵⁶، وهو في الموضوعين يَنْصُ على إباضيته. وذكر القاضي عبد الجبار في طبقات المعتزلة خبراً عن «محمد بن حرب» يشير إلى صحبته لأبي علي الجُبَّائي (ت303هـ) أحد أئمة المعتزلة⁵⁷، ولعل ذلك قبل انتقاله إلى الإباضية. وترجمة النديم له مبتورة كما هو واضح، غير أنها تجمع بين الاسم والكنية فتجعلهما لشخص واحد⁵⁸.

4. عبد الله بن يزيد الإباضي: هو أبو محمد عبد الله بن يزيد الفزاري، من أعلام القرن الثاني الهجري وأوائل الثالث، نشأ بالكوفة فيما يبدو، وتنقّل بينها وبين البصرة وبغداد، وربما نُسِبَ إلى شيء من هذه المواضع. يَعُدُّه الإباضية من التلامذة الصغار لأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي (ت150هـ تقريباً)، ثم خالف تلامذته الكبار بعد وفاته، وعلى رأسهم الربيع بن حبيب الفراهيدي (ت175هـ)، فأعلنوا هجرانه والبراءة منه. وكان خلافه في قضايا عقدية حسب ما يُفهم من التاريخ، وهو بآرائه تلك يُعَدُّ زعيماً فِكْرياً لِلنُّكَّارِ؛ إحدى أكبر الفرق المنشقة عن الإباضية⁵⁹. أما المصادر غير الإباضية فتعتبره إماماً إباضياً، ومن أكابر

⁵⁶ نفسه؛ ص306.

⁵⁷ طبقات المعتزلة ص279.

⁵⁸ نقل الجاحظ (ت255هـ) في (البيان والتبيين) جملة أخبار من رواية رجلٍ يسمّيه «محمد بن حرب الهلالي»، وزمانٌ هذا متقدم عن زمان المترجم له. انظر: البيان والتبيين 1/ 74، 77، 115، 151، 179، 257. 2/ 216.

⁵⁹ انظر: بيان الشرع؛ للكندي 3/ 20. والموجز لأبي عمار 2/ 213 (بتحقيق الطالبي) 125-138 (بتحقيق عميرة). وطبقات المشايخ للدرجيني 2/ 477. والجواهر للبرادي ص125. والسير للشاخي 1/ 97. وتحقيق

الدكتور النامي لأجوبة ابن خلفون ص115. والخوارج والحقيقة الغائبة لناصر بن سليمان السابعي ص31.

متكلميههم، وتذكر أنه اشتغل خَرَّازًا، وله حانوت بالكوفة يتردد عليه أتباعه فيه، وكان شريكًا لهشام بن الحكم الشيعي (ت نحو 190هـ)، حتى ضُربوا بصحبتهما المثل، في المشاركة في التجارة مع الخلاف في المذهب⁶⁰.

نَسَبَ النَّدِيمُ له من الكتب:

- كتاب الاستطاعة: وهو كتابٌ وَصَلَتْنَا نصوصٌ كثيرة منه، مُضَمَّنَةً في رد أحمد بن يحيى الزَيْدِي عليه، في كتابه المسمى «النجاة».
 - كتاب التوحيد: وَتَابَعَ النديم في نسبته صاحبُ كشف الظنون، وتوجد نسخة مخطوطة بهذا العنوان منسوبة لعبد الله بن يزيد في مكتبة الاستقامة بوادي ميزاب في الجزائر.
 - كتاب الرد على الرافضة: نقل عنه ابن سلام الإباضي في تاريخه⁶¹، وهو ما يؤكد نسبة النديم. وتابعه عليه صاحب كشف الظنون.
 - كتاب الرد على المعتزلة: وتابع النديم أيضا في نسبته صاحبُ كشف الظنون. ولم أجد من نقل عنه أو وقف عليه.
- وُثِنَسِبَ له كتب أخرى لم يذكرها النديم مثل:

⁶⁰ انظر: البيان والتبيين للجاحظ 1/ 46، 47. ومقالات البلخي ص 154، 246، 306، 514، 516. ومقالات الإسلاميين للأشعري 1/ 200. ومروج الذهب للمسعودي 3/ 204. والفصل في الملل والنحل لابن حزم 2/ 266. ورسائل ابن حزم (بتحقيق إحسان عباس) 2/ 114-115. وكشف الظنون لحاجي خليفة 5/ 446.

⁶¹ بدء الإسلام وشرائع الدين لابن سلام (المطبوع بعنوان: الإسلام وتاريخه من وجهة نظر إباضية) ص 81.

- كتاب في الرد على ابن عمير: يوجد مخطوطا بهذا العنوان في مكتبة الاستقامة بالجزائر. ولعل المردود عليه هو عيسى بن عمير الهمداني الكوفي.

- كتاب القدر: يوجد مخطوطا أيضا بالخزانة المذكورة.

- كتاب «أخبار صفين وأخبار أهل النهر وقتلهم».

5. **حَفْصُ بن أَشِّيمَ:** وصفه أبو زكريا الأزدى في (تاريخ الموصل) بأنه «أحد فقهاء الخوارج من أهل الاجتهاد»، وذكر أنه مُوصِلِي⁶². واسمه يشتهر باسم «حفص بن أبي المقدام» المنسوب للإباضية⁶³، فهل أَشِّيمُ هو نفسه أبو المقدام؟ أو هما رجلان مختلفان؟. وسيأتي مزيد كلام عنه في ترجمة جبير بن غالب، الذي ذكره النديم ضمن «فقهاء الشراة».

6. **صالح:** لم يزد النديم على اسمه شيئا. ولم أتوصل إلى معرفته.

7. **داود:** لم يزد عليه النديم شيئا. ولم أعرفه.

8. **زياد الأعصم:** هكذا سَمَّاهُ النديم. ووجدتُ شخصين

يقربان من اسمه؛ الأول: زياد بن سليمان الأعجم (ت نحو 100هـ) مولى بني عبد القيس، من شعراء الدولة الأموية، عاصر المهلب بن أبي صفرة، وله فيه مدائح ومراث. ولم تُذكرْ له علاقة بالخوارج أو الإباضية⁶⁴. الثاني:

⁶² تاريخ الموصل ص 205، 206.

⁶³ انظر ترجمته في الأعلام للزركلي 2/ 264 مع مصادره، وفيه أنه ورد في خطط المقرئ باسم: حفص بن المقدام.

⁶⁴ انظر ترجمته في الأعلام 3/ 54.

زياد الأعصم. وَرَدَ هذا الأثرُ عنه: «وبلغنا عن جابر بن زيد - رحمه الله - قيل له: إن زياد الأعصم كان مسلماً له منزلة وفضل، فقبل لجابر: إنه كان يسمي قومنا بالشرك، فقال: أرسلوه إلي، فقبل له: إن جابر بن زيد يدعوكم. فأتاه، فقال له: يا زياد ما تقول في هَدْيِ قومنا، يعني البُذَن التي يبعثون بها؟ فقال زياد: ألحق وآكل أكبادها وأسنامها بأنه لا هدي لهم، فقال له: إذن أبرأ وأخلع»⁶⁵. وهذا هو الأقرب إلى الشخص المذكور عند النديم، فلعله نفسه. وهو أحد شعراء الخوارج في النصف الثاني من القرن الهجري الأول، وكان معتدل الرأي حسب قصته السالفة مع الإمام جابر، ثم صار يرى رأي الأزارقة حسب كلام المؤرخين. وتوفي مقتولاً⁶⁶.

والثلاثة السابقون: صالح وداود وزياد الأعصم؛ قال فيهم النديم: «ولهؤلاء مسائلٌ خلافٍ، ولا كتابٌ لهم يُعرَف». وقريبٌ من هذه العبارة نجدها عند البلخي في مقالاته إذ يقول: «ومن رجالهم ممن لا يُذكر له خُروجٌ ولا مَذْهَبٌ تفرَّدَ به: صالح، وداود، وزياد الأعصم. وكانوا يتلاقون ويحدثون مسائل يقع بها الخلاف بين الخوارج، ثم كانت لهم في آخر أمرهم خَرْجَةٌ

⁶⁵ لا تخلو ألفاظ الرواية من غموض. وهي في السير والجوابات لعلماء وأئمة عمان 1/ 317 - 318. ومثلها في بيان الشرع للكندي 3/ 418. وانظر موسوعة آثار الإمام جابر بن زيد الفقهية لإبراهيم بولرواح 1/ 353 - 354.

⁶⁶ انظر أخباره وأشعاره في: جمل من أنساب الأشراف؛ للبلاذري 8/ 95. كتاب المقالات لأبي القاسم البلخي ص 128. شعر الخوارج ص 189.

ليست بالمشهورة»⁶⁷. ويُفهم من ذلك كله أن الثلاثة كانوا متعاصرين، في أواخر القرن الأول للهجرة.

9. إبراهيم بن إسحاق الإباضي: زاد عليه الباباني تاريخ وفاته سنة 145هـ⁶⁸. ولم أعثَر على شيء آخر عنه.

10. صالح الناجي: سماه أبو القاسم البلخي من المعتزلة، وقال إنه «ممن ذكره داود الأصبهاني في كتابه ونَسَبَهُ إلى القدر»⁶⁹. وداود الأصبهاني توفي سنة 270هـ، وعلى هذا يكون الناجي من أهل القرن الثالث الهجري. وذكر البلخي مثلاً ذلك في كتابه الآخر: (قبول الأخبار ومعرفة الرجال)⁷⁰.

11. الهيثم بن الهيثم.

12. خطاب: هذان الأخيران لم أجد لهما ترجمة أو إشارة في الكتب.

وخلاصة ما تقدم: أن النديم عَدَّدَ اثني عشر شخصاً من متكلمي الخوارج ومناظريهم، نَسَبَ ثلاثة منهم فقط إلى الإباضية، وجميعهم لا يذكرهم الإباضية ضمن أعلامهم، سوى عبد الله بن يزيد الذي يعدونه على رأس طائفة منشقة عنهم.

⁶⁷ كتاب المقالات للبلخي ص 155.

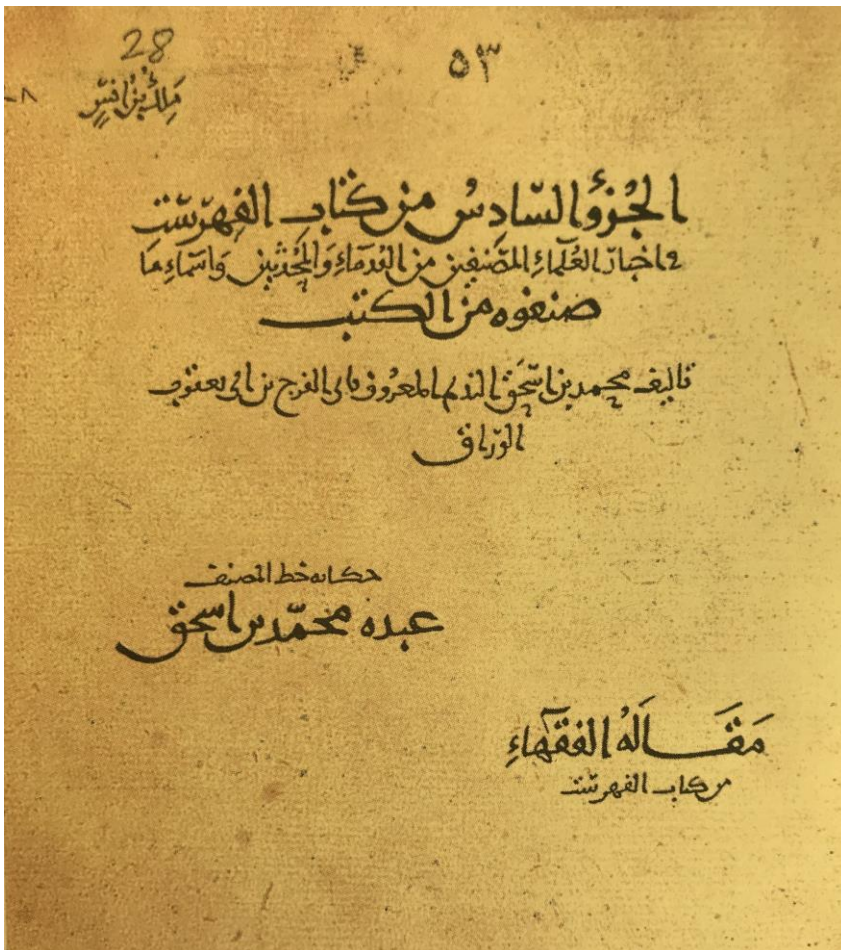
⁶⁸ هدية العارفين للباباني ص 1.

⁶⁹ كتاب المقالات للبلخي ص 192.

⁷⁰ قبول الأخبار للبلخي ص 406.

◎ المبحث الثالث: حديث (الفهرست) عن فقهاء الشراة ومصنفاتهم:

هذا هو الموضع الثاني الذي أفرد فيه النديم حديثاً عن الإباضية أو ما يتعلق بهم، وذلك ضمن «الفن الثامن من المقالة السادسة من كتاب الفهرست، في أخبار العلماء وأسماء ما صنّفوه من الكتب» تحت عنوان «فُقهاء الشُّراة»، ونص كلامه⁷¹:



⁷¹ مج 2/ ص 125.

«هؤلاء القوم كُتِبَهم مَسْتُورَةٌ، قَلَمًا وَقَعَتْ، لِأَنَّ الْعَالَمَ تَشَنَّاَهُمْ⁷²
وَتَتَبَّعَهُم بِالْمَكَارِهِ. وَلَهُمْ مُصَنَّفُونَ وَمُؤَلَّفُونَ فِي الْفِقْهِ وَالْكَلَامِ. وَهَذَا الْمَذْهَبُ
مَشْهُورٌ بِمَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ، مِنْهَا: عُمَانٌ وَسِجِسْتَانُ⁷³ وَبِلَادُ أَذْرَبَيْجَانِ⁷⁴
وَنَوَاحِي السَّنِّ⁷⁵ وَالْبَوَازِيحِ⁷⁶ وَكَرْخُ جُدَّانِ⁷⁷ وَتَلُّ عُكْبَرِ⁷⁸ وَحَزَّةُ⁷⁹
وَشَهْرُزُورُ⁸⁰.

⁷² ضبطها أيمن فؤاد سيد بالتشديد هكذا: تَشَنَّاَهُمْ! والذي وجدته في كتب اللغة أنها بالتخفيف: «شَنَاءَهُ، كَمَنَعَهُ وَسَمِعَهُ» - كما في القاموس المحيط (مادة: شَنَأَ) - أي أَبْغَضَهُ.

⁷³ سجستان: إقليم واسع مجاور لخراسان، والنسبة إليه سجستاني، وسجزي على غير قياس، وهو باللسان الفارسي: سيستان؛ المحافظة المعروفة حاليا بإيران، وفيها يقع القسم الأكبر من هذا الإقليم حسب التوزيع الجغرافي القديم، وثمة أجزاء صغيرة منه تتبع حاليا باكستان وأفغانستان. قال ياقوت: «وبسجستان كثير من الخوارج يظهرون مذهبهم ولا يتحاشون منه ويفتخرون به عند المعاملة، حدثني رجل من التجار قال: تقدمت إلى رجل من سجستان لأشتري منه حاجة، فهاكسته، فقال: يا أخي؛ أنا من الخوارج لا تحب عني إلا الحق، ولست ممن يبخسك حقك، وإن كنت لا تفهم حقيقة ما أقول فسل عنه. فمضيتُ وسألتُ عنه متعجبا. وهم يتزيون بغير زي الجمهور، فهم معروفون مشهورون، وبها بُكِّدَة يقال لها كَرْكُويَه كلهم خوارج، وفيهم الصوم والصلاة والعبادة الزائدة، ولهم فقهاء وعلماء على حدة». معجم البلدان 3 / 190.

⁷⁴ أَذْرَبَيْجَان: ضبطها ياقوت بالفتح ثم السكون وفتح الراء وكسر الباء الموحدة وياء ساكنة وجيم: إقليم واسع من بلاد فارس، تقلص حاليا إلى جمهورية أذربيجان الواقعة في منطقة القوقاز على الساحل الغربي لبحر قزوين، وعاصمتها باكو. معجم البلدان 1 / 128.

⁷⁵ اسم السَّنِّ يطلق على مواضع عدة، غير أن اقترانها بالبوازيج يرجح أن المقصود بها هنا: «مدينة على دجلة فوق تكريت» حسب عبارة ياقوت. معجم البلدان 3 / 268.

⁷⁶ الْبَوَازِيحُ كما يصفها ياقوت في معجم البلدان: بلدة قرب تكريت بالعراق على فم نهر الزاب الأسفل الذي يصب في دجلة؛ يقال لها بوازيج الملك؛ لها ذكر في الأخبار والفتوح وهي من أعمال الموصل، وينسب إليها جماعة من العلماء. معجم البلدان 1 / 503.

فَمِنْ فُقَهَائِهِمُ الْمُتَقَدِّمِينَ:

جُبَيْرُ بْنُ غَالِبٍ: وَيُكْنَى أَبَا فِرَاسٍ، وَكَانَ فَقِيهًا شَاعِرًا خَطِيبًا فَصِيحًا. فَمِنْ كُتُبِهِ: كِتَابُ (السُّنَنِ وَالْأَحْكَامِ). كِتَابُ (أَحْكَامِ الْقُرْآنِ). كِتَابُ (الْمُخْتَصَرِ) فِي الْفِقْهِ. كِتَابُ (الْجَامِعِ الْكَبِيرِ) فِي الْفِقْهِ. كِتَابُ (رِسَالَتِهِ إِلَى مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ).

الْقُرْطُلُوسِيُّ: وَهُوَ أَبُو الْفَضْلِ [.....] مِنْ نَوَاحِي تَلِّ عُكْبَرٍ. وَلَهُ كُتُبٌ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا: كِتَابُ (الْجَامِعِ الْكَبِيرِ) فِي الْفِقْهِ، وَيَحْتَوِي عَلَى عِدَّةٍ كُتِبَ عَلَى مِثَالِ كُتُبِ الْفُقَهَاءِ. كِتَابُ (الْجَامِعِ الصَّغِيرِ) وَعَلَيْهِ يُعَوَّلُ أَصْحَابُهُ. كِتَابُ (الْفَرَائِضِ). كِتَابُ (الرَّدِّ عَلَى أَبِي حَنِيفَةَ فِي الرَّأْيِ). كِتَابُ (الرَّدِّ عَلَى الشَّافِعِيِّ فِي الْقِيَاسِ).

وَمِنْهُمْ: أَبُو بَكْرٍ الْبَرْدَعِيُّ، وَاسْمُهُ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ. وَرَأَيْتُهُ فِي سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَثَلَاثَ مِئَةٍ، وَكَانَ بِي أَنْسَا، يُظْهِرُ مَذْهَبَ الْإِعْتِزَالِ، وَكَانَ خَارِجِيًّا وَاحِدًا فَقَهَائِهِمْ. وَقَالَ لِي أَنَّ لَهُ فِي الْفِقْهِ عِدَّةً كُتِبَ. وَذَكَرَ بَعْضُهَا، وَهُوَ: كِتَابُ (الْمُرْشِدِ) فِي الْفِقْهِ. كِتَابُ (الرَّدِّ عَلَى الْمَخَالِفِينَ) فِي الْفِقْهِ. كِتَابُ

⁷⁷ كَرُخْ جُدَّان: هَكَذَا ضَبَطَهَا يَاقُوتٌ، وَنَعْتَهَا بِأَنَّهَا «بَلِيدَةٌ فِي آخِرِ وَلايَةِ الْعِرَاقِ» وَجَعَلَهَا «الْحَدَّ بَيْنَ وَلايَةِ شَهْرَزُورِ وَالْعِرَاقِ». مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ 4 / 449.

⁷⁸ عُكْبَرٍ: بَظْمِ الْعَيْنِ وَسُكُونِ الْكَافِ وَفَتْحِ الْبَاءِ: بَلِيدَةٌ فِي نَوَاحِي الْعِرَاقِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ بَغْدَادَ عَشْرَةَ فَرَاسِخَ، وَتَلَّ عُكْبَرٍ مَوْضِعٌ بِجَوَارِهَا. مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ 2 / 42..

⁷⁹ حَزَّةٌ: لَمْ أَجِدْهَا عِنْدَ يَاقُوتَ. وَتَوَجَّدَ الْيَوْمَ بَلَدَةٌ فِي رِيفِ دِمَشْقَ بِهَذَا الْاسْمِ.

⁸⁰ شَهْرَزُورٍ: بِالْفَتْحِ ثُمَّ سُكُونِ وَراءَ مَفْتُوحَةٍ بَعْدَهَا زَايٌ وَوَاوٌ سَاكِنَةٌ وَراءَ وَهِيَ مِنْ بِلَادِ الْأَكْرَادِ بَيْنَ إِرْبِلَ وَهَمْدَانَ. مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ 3 / 375. 4 / 142.

(تذكرة الغريب) في الفقه. كتاب (التَّبَصُّرُ لِلْمُتَعَلِّمِينَ). كتاب (الاختِجَاجُ على المخالفين). كتاب (الجامع في أصول الفقه). كتاب (الدُّعَاء). كتاب (النَّاسِخُ وَالْمَنْسُوخُ فِي الْقُرْآن). كتاب (الأَذْكَارُ وَالتَّحْكِيم). كتاب (السُّنَّةُ وَالْجَمَاعَةُ). كتاب (الإمامة) كتاب (نَقْضُ كِتَابِ ابْنِ الرَّوْنَدِيِّ فِي الْإِمَامَةِ). كتاب (تَحْرِيمُ الْمُسْكِرِ). كتاب (الرَّدُّ عَلَى مَنْ قَالَ بِالْمُتَعَّةِ). (كتابُ التَّائِكِينَ). كتاب (الْإِيمَانُ وَالتُّدُورُ).

أبو القاسم الحَدِيثِي: رأيتُه، وكان زاهداً ظاهرَ الحُشُوعِ غَيْرَ مُظْهِرٍ لِمَذْهَبِهِ، وكان مِنْ أَكْبَرِ الشُّرَاةِ وَفُقَهَائِهِمْ. وله من الكتب: كتاب (الجامع) في الفقه. كتاب (أَحْكَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ). كتاب (الإمامة). كتاب (الوَعْدُ وَالْوَعِيدُ). كتاب (التَّحْرِيمُ وَالتَّحْلِيلُ). كتاب (التَّحْكِيمُ فِي اللَّهِ جَلَّ اسْمُهُ).

انتهى كلامه. وهذه ملحوظاتي عليه:

• الملحوظات العامة:

1) أعود هنا إلى ملاحظة طريقة التَّيْدِيمِ في التعبير بمصطلح (الخوارج) عند الحديث عن المتكلمين فيما سبق، وبمصطلح (الشُّرَاة) عند الحديث عن الخوارج هنا، وهو لا يعني بهم إلا جماعةً واحدة، إذ نراه مثلاً يترجم لأبي بكر البردعي ضمن فقهاء الشُّرَاة، وينعته بالخارجي، ولا أدري هل ثَمَّةُ دلالةٍ يشير إليها النديم في التفريق بين المصطلحين؟ أو هما مترادفان؟ والواقع أن المصطلحين غير منضبطين عند عامة المصنفين،

وظل استعمالُهُمَا غيرَ واضح الدلالة طوال القرون الخمسة الأولى. ثم بدأت طوائفُ الخوارج تتلاشى شيئاً فشيئاً، ولم يبق ممن يُنسب إلى الخوارج سوى الإباضية.

(2) يعيد النديم - كما صنع في مقالة المتكلمين - تصديرَ كلامه بذكر صعوبة الإحاطة بكتب الشراة: «هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ كُتِبَ لَهُمْ مَسْتُورَةٌ، قَلَمًا وَقَعَتْ» ويزيد هنا تعليلاً للقضية: «لَأَنَّ الْعَالَمَ تَشْنَاهُمْ وَتَتَّبِعُهُم بِالْمَكَارِهِ» وهذه علة خارجية، ليس مردّها إلى الشراة أنفسهم، وإنما إلى نظرة غيرهم السلبية إليهم.

(3) زاد النديم هنا فائدةً في ذكر مواطن الشراة. وفي تصديرها بِعُمَانِ دلالةً قوية على أَكْثَرِيَّتِهِمْ بِهَا، مع أنه لم يُسَمَّ أَحَدًا من أعلام عُمان، ولم يقف على شيء من مصنفاتهم.

(4) منطوق كلام النديم ومفهومه يؤكد أن (الخارجية) مذهبٌ فقهي كلامي، وأن (للخوارج) مصنفاتٍ في الفقه والكلام، واللافتُ للنظر هنا إشارته إلى خارجي معتزلي، وهو أبو بكر البردعي، كان في الفقه على مذهب الخوارج، وفي الكلام على مذهب الاعتزال. وهذه ظاهرة شائعة عند أهل القرون الأولى، لكنها ربما تكون نادرةً عند الخوارج.

(5) تشترك مقالة الفقهاء هذه مع مقالة المتكلمين في نقص البيانات، ووجود بياضٍ في الأصل المخطوط يبدو أن المؤلف تركه لاستكمال المعلومات لاحقاً أو التحقق منها. واكتفى النديم بتعداد أربعة

من الأعلام هنا فقط، ذَكَرَ اثنين منهم بالكنية والنسبة دون الاسم. وصرح بلقاء اثنين منهم، أحدهما سنة 340هـ، أي قَبْلَ تدوين كتابه سنة 377هـ بنحو سبع وثلاثين سنة.

• تراجع أعلام هذه المقالة:

فيما يلي مسرد بأعلام فقهاء الشراة مع تراجمهم:

1. جبير بن غالب؛ أبو فراس الخارجي الموصلي: شاعرٌ مصنّف، من أهل الخمسين الثانية من القرن الثاني للهجرة، حسب ما يبدو من سياق التاريخ. وقد سبق أن ذكر النديم من متكلمي الخوارج «حفص بن أَشِيم» قال: «وله من الكتب كتاب (الفرق والرد عليهم) رواه عن جبير بن غالب». اهـ. هكذا وردت العبارة في جميع طبعات الفهرست التي اطلعتُ عليها، ومنها طبعة دار الفرقان، ويبدو لي أن الصواب: رواه عَنْهُ جُبَيْرُ بن غالب. فيكون جبَيْرُ الراوي، وحفصُ المروي عنه، وهذا هو الأرجح في ميزان التاريخ؛ لأسباب منها:

الأول: أَنَّ جُبَيْرَ بن غالب رسالةً إلى مالك بن أنس؛ كما ذكر النديم، ومالكُ توفي سنة 179هـ، فيُعْلَبُ على الظن أن جبَيْرًا من أقرانه، ومن أهل طبقتة. على أنه لا بُدَّ من الأخذ بعين الاعتبار أن مالكًا توفي وهو ابن خمس وثمانين سنة - كما صرَّح النديم - فيكون أدرك الخمسين الأولى من القرن الثاني كلها، ولا ندرى في أي تاريخ كتَبَ جبير بن غالب رسالته إليه، فَعَدْنَا إياه من أهل الخمسين الثانية من القرن الثاني ليس يقينًا.

الثاني: أن حَفْصَ بن أَشِيمَ معدود في طبقة الخمسين الأولى من القرن الثاني، يدل على ذلك خبرُ خروج ابن أخته: حسان بن مجالد بن يحيى بن مالك بن الأجدع الهمداني، على أبي جعفر المنصور (136- 158هـ) بنواحي الموصل سنة 148هـ. قَيَّدَ ذلك أبو زكريا يزيد بن محمد الأزدي (ت334هـ) في (تاريخ الموصل)⁸¹، ونقله عنه ابن الأثير (ت630هـ) في (الكامل). وذكَّرَا أن حسان بن مجالد قد أخذ رأيَ الخوارج عن خاله حفص بن أشيم، وكان من علماء الخوارج وفقهائهم، ولمَّا بلغ المنصورَ خروجُ حسان قال: خارجيٌّ من همدان؟! قالوا: إنه ابن أخت حفص بن أشيم. فقال: فَمِنْ هُنَاكَ. قال ابن الأثير: «وإنما أنكر المنصورُ ذلك لأن عامة همدان شيعة لعلي»⁸². فهذه الحادثة تشير إلى تقدُّم حياة حفص بن أشيم قبل سنة 148هـ، ومع أنها غير صريحة بكونه ما زال حيًّا إلى تلك السنة؛ إلا أنها مؤشِّر على تقدُّم طبقته على طبقة ابن أخته.

السبب الثالث وهو الأقوى: أن الأزدي في (تاريخ الموصل) عَرَفَ حفص بن أشيم بقوله: «وهو الذي يقول فيه جبير بن غالب الخارجي... في قصيدةٍ قالها يفخر بلقاء حفص وينظره إليه:

فلما بلغنا خمَسَ عَشْرَةَ حِجَّةً لقينا على الإسلام حَفْصَ بن أَشِيمَا»

⁸¹ تاريخ الموصل ص 206.

⁸² الكامل لابن الأثير 5 / 185.

فقوله: «بلغنا خمس عشرة حجة» ربما يوجَّه بِعِدَّةٍ مَعَانٍ، غير أن المعنى المتبادر إلى الذهن هو افتخارُ جبير - عند بلوغه من العمر خمس عشرة سنة - بقاء حفص بن أشيم والنظر إليه، وهذا ما يؤيده كلام الأزدِي. ونظيره - في الاستعمال اللفظي - قولُ الكُمَيْت يمدح خالد بن يزيد:

قَادَ الْجِيُوشَ لِحَمْسَ عَشْرَةَ حِجَّةً وَلِدَاتُهُ عَنْ ذَاكَ فِي أَشْغَالٍ
وعليه يكون فارق السن بين الرجلين دافعاً لنا إلى القول إن حفص بن أشيم متقدم، وإن جبير بن غالب في طبقة تلامذته، وهو الذي روى كتاب الفرق عنه.

2. أبو الفضل القرطوسي: لعله من أعلام القرن الثالث الهجري. لم أعرف اسمه، ولم أجد مَنْ ترجم له.

3. أبو بكر محمد بن عبد الله البردعي: صرح النديم أنه رآه سنة 340هـ، فهو من أعلام القرن الرابع الهجري. ولا مزيد على ما ذكره النديم في المصادر المتاحة.

4. أبو القاسم الحديثي: هو كسابقه من أعلام القرن الرابع الهجري ممن رآه النديم. ولا أعرف اسمه ولم أجد شيئاً من أخباره. وربما تكون نسبته «الحديثي» إلى «مدينة الحديث» التي ذكرها النديم في

الفهرست، وذكر أنه وقف على خزانة فيها زاخرة بالكتب النادرة⁸³. ولعلها «حديثه الموصل» التي ذكرها ياقوت في معجم البلدان⁸⁴.

وفي آخر الحديث عن (الشُّراة) أود الإشارة إلى موضع وحيد صرح فيه النديم بـ (الشراة) في غير الفقرة الأنفة الذكر، وذلك عند حديثه عن «دَغْفَلَ النَّسَابَةَ»، فقد ختم حديثه عنه بقوله: «وَقَتَلْتُ دَغْفَلَ الشُّرَاةُ»⁸⁵.

⁸³ مج 1 / ص 106.

⁸⁴ معجم البلدان 2 / 230.

⁸⁵ مج 1 / ص 278. وأشار محققه إلى أن ابن قتيبة في (المعارف) ذكر أن الذين قتلوا دغفل هم الأزارقة.

جريدة المصادر والمراجع

1. الاشتقاق؛ تصنيف: أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت321هـ). تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط2: 1399هـ/ 1979م. منشورات مكتبة المثنى - بغداد/ العراق.
2. إنبأه الرواة على أنبأه النحاة؛ تأليف: جمال الدين علي بن يوسف القفطي (ت624هـ). تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط1: 1406هـ/ 1986م. دار الفكر العربي - القاهرة/ مصر. مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت/ لبنان.
3. البيان والتبيين؛ تأليف: أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت255هـ). تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط7: 1418هـ/ 1998م. مكتبة الخانجي - القاهرة/ مصر.
4. تاريخ الموصل؛ تأليف: أبي زكريا يزيد بن محمد بن إياس الأزدي (ت334هـ). تحقيق: علي حبيبة. ط1: 1387هـ/ 1967م. لجنة إحياء التراث الإسلامي - القاهرة/ الجمهورية العربية المتحدة.
5. تهذيب الكمال في أسماء الرجال؛ تأليف: أبي الحجاج يوسف المزي (ت742هـ). تحقيق: بشار عواد معروف. ط1: 1413هـ/ 1992م. مؤسسة الرسالة - بيروت/ لبنان.
6. جمل من أنساب الأشراف؛ تأليف: أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت279هـ). ط1: 1417هـ/ 1996م. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت/ لبنان.
7. رسائل ابن حزم الأندلسي؛ تحقيق: إحسان عباس. ط2: 2007م. المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت/ لبنان.
8. السر المصون على كشف الظنون؛ تأليف: جميل بن مصطفى العظم (ت1352هـ). تحقيق: محمد خير رمضان يوسف. ط1: 1425هـ/ 2004م. دار البشائر الإسلامية - بيروت/ لبنان.
9. شرح غريب الفصيح؛ تأليف: أبي العباس أحمد بن عبد الجليل التدميري الأندلسي (ت555هـ). تحقيق: أحمد رجب أبو سالم. ط1: 1440هـ/ 2019م. دار الضياء للنشر والتوزيع - الكويت.
10. شعر الخوارج؛ جمع وتقديم: إحسان عباس. ط2: 1394هـ/ 1974م. دار الثقافة - بيروت/ لبنان.
11. غاية النهاية في طبقات القراء؛ لابن الجزري. عني بنشره: ج. برجستراسر G.Bergstraesser. وأكمل تصحيحه: بيرتزل Pretzl. ط3: 1402هـ/ 1982م (تصويرًا عن طبعته الأولى 1351هـ/ 1932م التي نشرها: محمد أمين الخانجي - القاهرة/ مصر). دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان.

12. فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة (مجموع نصوص)؛ تأليف: أبي القاسم البلخي، والقاضي عبد الجبار، والحاكم الجشمي. اكتشفها وحققها: فؤاد سيد. أعدها للنشر: أيمن فؤاد سيد. ط 1: 1439 هـ / 2017 م. من إصدارات المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت. الناشر: دار الفارابي للنشر والتوزيع - بيروت / لبنان.
13. الفهرست لابن النديم؛ صياغة حديثة؛ بتحقيق: ناهد عباس عثمان. ط 1: 1405 هـ / 1985 م. دار قطري بن الفجاءة - قطر.
14. الفهرست؛ لأبي الفرج محمد بن إسحاق النديم (ألفه سنة 377 هـ). قابله على أصوله وعلق عليه وقدم له: أيمن فؤاد سيد. مجلدان في أربعة أسفار. 1430 هـ / 2009 م. مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي - لندن.
15. قبول الأخبار ومعرفة الرجال؛ تأليف: أبي القاسم عبد الله بن أحمد بن محمد البلخي (ت 319 هـ). تحقيق: حسين خانصو. ط 1: 1439 هـ / 2018 م. دار الفتح للدراسات والنشر - عمان / الأردن.
16. الكامل في التاريخ؛ تأليف: علي بن محمد بن محمد الشيباني؛ المعروف بابن الأثير (ت 630 هـ). راجعه وصححه: محمد يوسف الدقاق. ط 1: 1407 هـ / 1987 م. دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.
17. كتاب المقالات، ومعه: عيون المسائل والجوابات؛ تأليف: أبي القاسم عبد الله بن أحمد بن محمد البلخي (ت 319 هـ). تحقيق: حسين خانصو، وراجح كردي، وعبد الحميد كردي. ط 1: 1439 هـ / 2018 م. دار الفتح للدراسات والنشر - عمان / الأردن.
18. لسان الميزان؛ تأليف: أحمد بن علي بن حَجَر العسقلاني (ت 852 هـ). اعتنى به: عبد الفتاح أبو غدة. ط 1: 1423 هـ / 2002 م. دار البشائر الإسلامية - بيروت / لبنان.
19. معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)؛ تأليف: ياقوت الحموي الرومي (ت 626 هـ). تحقيق: إحسان عباس. ط 1: 1993 م. دار الغرب الإسلامي - بيروت / لبنان.
20. معجم البلدان؛ تأليف: ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي (ت 626 هـ). ط 1: 1397 هـ / 1977 م. دار صادر - بيروت / لبنان.
21. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين؛ تأليف: علي بن إسماعيل الأشعري (ت 330 هـ). تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. ط 1: 1411 هـ / 1990 م. المكتبة العصرية - بيروت / لبنان.